المفارقة

لغة واصطلاحا

أ الدور الذي تقوم به عملية إبراز التناقض بين النقيضين في إبراز معنى كل منهما ، ولمحناه في قول الشاعر دوقلة المنبجي :

ضدان لما استجمعا حسنا والضد يظهر حسنه الضد

ومع ذلك فلم تهتم البلاغة العربية بهذا النمط الفني ، لكنها صرفت جل اهتمامها بالبديع القائم على فكرة التضاد ، وعالجته تحت مسمى (الطباق والمقابلة) ، كما عولجت المفارقة في أبواب بلاغية أخرى كالتورية والكناية والتعريض والتهكم

ثمن المفارقة اللفظية :

قول الله تعالى :

﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ۝٣﴾ [سورة التوبة: الآية ٣]

معروف أن البشرى تكون في المناسبات السعيدة والأخبار السارة ، غير أنها جاءت في هذه الآية الكريمة للدلالة على البشرى بالعذاب .

وفي إطار السخرية والتهكم :

قول العرب : (رجل طويل الأذنين).

ظاهر الكلام هنا أنه يصف عضوا من أعضاء الجسم ، ولكن دلالة اللفظ على أنه غبي قليل الفهم وهذا أدخل في باب الكناية .

وفي إطار التعريض :

ورد في العقد الفريد أن عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – سمع امرأة وهي تطوف

بالبيت الحرام تقول :

فمنهن من تسقى بعـذب مبرد نقاخ فـــتلكم عند ذلـك قـرت

ومنهن من تسقى بأخضر آجن أجاج ولـولا خشـية الله قـرت

والمرأة في هذين البيتين تريد أن تقابل بين امرأتين إحداهما تحت زوج نقي الفم طيب الرائحة يرضي المرأة ، والأخرى تحت زوج أبخر خبيث رائحة الفم لا يرضيها ولا يقدم لها ما تريد .

وقد فهم عمر مراد المرأة وما يحمل أسلوبها من مواربة وتعريض بزوجها وكان عمر – رضي الله عنه – يتوقع من المرأة أن تدعو الله بشكل مباشر دون مواربة ، لأنه العليم الخبير (الذي يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور) .

ومن التعريض (الإساءة)

فمما روي : أن الخليفة العباسي المأمون قال لقارىء : اقرأ ، فقال:

﴿ فَطَوَّعَتْ لَهُۥ نَفْسُهُۥ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٣٠﴾ ﴾

[سورة المائدة: الآية ٣٠]

فأمر المأمون بحبس الرجل القارئ ، لأنه أساء للمأمون الذي قتل أخاه الأمين بسبب خلاف بينهما على الخلافة ، والمأمون يعرف قصة قابيل وهابيل في القرآن الكريم فعلم أنه المقصود .

غير أن المفارقة التصويرية صياغة تختلف كل الاختلاف عن المطابقة والمقابلة ، سواء من ناحية بنائها الفني ، أو من ناحية وظيفتها الإيحائية، وذلك لأن المفارقة التصويرية تقوم على إبراز التناقض بين طرفيها ، في جزء من القصيدة وربما في القصيدة كلها (والتناقض في المفارقة التصويرية في أبرز صوره فكرة تقوم

ل الدور الذي تقوم به عملية إبراز التناقض بين النقيضين في إبراز معنى كل منهما ، ولمحناه في قول الشاعر دوقلة المنبجي :

ضدان لما استجمعا حسنا والضد يظهر حسنه الضد

ومع ذلك فلم تهتم البلاغة العربية بهذا النمط الفني ، لكنها صرفت جل اهتمامها بالبديع القائم على فكرة التضاد ، وعالجته تحت مسمى (الطباق والمقابلة) ، كما عولجت المفارقة في أبواب بلاغية أخرى كالتورية والكناية والتعريض والتهكم

ثمن المفارقة اللفظية :

قول الله تعالى :

﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣﴾﴾ [سورة التوبة: الآية ٣]

معروف أن البشرى تكون في المناسبات السعيدة والأخبار السارة ، غير أنها جاءت في هذه الآية الكريمة للدلالة على البشرى بالعذاب .

وفي إطار السخرية والتهكم :

قول العرب : (رجل طويل الأذنين).

ظاهر الكلام هنا أنه يصف عضوا من أعضاء الجسم ، ولكن دلالة اللفظ على أنه غبي قليل الفهم وهذا أدخل في باب الكناية .

وفي إطار التعريض :

ورد في العقد الفريد أن عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – سمع امرأة وهي تطوف

بالبيت الحرام تقول :

فمنهن من تسقى بعـذب مبرد نقاخ فـتلكم عند ذلـك قـرت

ومنهن من تسقى بأخضر آجن أجاج ولـولا خشـية الله قـرت

والمرأة في هذين البيتين تريد أن تقابل بين امرأتين إحداهما تحت زوج نقي الفم طيب الرائحة يرضي المرأة ، والأخرى تحت زوج أبخر خبيث رائحة الفم لا يرضيها ولا يقدم لها ما تريد .

وقد فهم عمر مراد المرأة وما يحمل أسلوبها من مواربة وتعريض بزوجها وكان عمر – رضي الله عنه – يتوقع من المرأة أن تدعو الله بشكل مباشر دون مواربة ، لأنه العليم الخبير (الذي يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور) .

ومن التعريض (الإساءة)

فمما روي : أن الخليفة العباسي المأمون قال لقارىء : اقرأ ، فقال:

﴿ فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٣٠﴾ ﴾

[سورة المائدة: الآية ٣٠]

فأمر المأمون بحبس الرجل القارئ ، لأنه أساء للمأمون الذي قتل أخاه الأمين بسبب خلاف بينهما على الخلافة ، والمأمون يعرف قصة قابيل وهابيل في القرآن الكريم فعلم أنه المقصود .

غير أن المفارقة التصويرية صياغة تختلف كل الاختلاف عن المطابقة والمقابلة ، سواء من ناحية بنائها الفني ، أو من ناحية وظيفتها الإيحائية، وذلك لأن المفارقة التصويرية تقوم على إبراز التناقض بين طرفيها ، في جزء من القصيدة وربما في القصيدة كلها (والتناقض في المفارقة التصويرية في أبرز صوره فكرة تقوم

على استنكار الاختلاف والتفاوت بين أوضاع كان من شأنها أن تتفق وتتماثل أو بتعبير مقابل تقوم على افتراض ضرورة الاتفاق فيما واقعه الاختلاف . والشاعر المعاصر يستغل هذه العملية في تصوير بعض المواقف والقضايا التي يبرز فيها هذا التناقض . والتي تقوم المفارقة التصويرية بدور فعال في إبراز أبعادها).

وتبرز المفارقة في الأدب (شعره ونثره) في أشكال عدة :

فهي في الشعر تبدو في التضاد بين المفردات . وأسلوب المقابلة في السياقات المختلفة . وفي المفارقة المعنوية بين ظاهر الأشياء وباطنها وتلجأ - أحيانا - إلى السخرية في كشف باطن النص الخفي .

وفي المسرحية تأتي المفارقة في شكل كوميدي أو مأساوي . تتأجج فيه العواطف والأفكار وتتقاطع. (فقد تُضحك المفارقة بمأساتها، وقد تُبكي بسخريتها).

لقد اعتمد الشعر العربي قديمه وحديثه في بناء نسيجه على عنصر المفارقة وأن أغلب القصائد الشهيرة في الشعر العربي تعتمد في شعريتها وبنائها اللساني على المفارقة وعمودها الفقري التضاد. سواء أكانت مفارقتها لفظية أم سياقية.

إن المفارقة جوهر في الأدب، لأنها تقوم على الصراع بين الأشياء : الحياة والموت، المتصور والمألوف، الفاني والأزلي، ولأنها تعكس الرؤية المزدوجة في الحياة فهي نظرة فلسفية للوجود من حولنا . قبل أن تكون أسلوبا بلاغيا .

والمفارقة نوعان :

- ✓ مفارقة لفظية .
- ✓ مفارقة الموقف أو السياق.

فالمفارقة اللفظية هي التي تكون فيها المعنى الظاهري واضحًا، ولا يتسم بالغموض وله قوة دلالية مؤثرة.

وكثيرًا ما يكون المعنى فيها هجوميًا، وخاصة في شعر الهجاء. وهذه المفارقة يتعمدها الشاعر، ويخطط لها، عبر التضاد بين المظهر والمخبر.

يقول أحمد بن محمد يعقوب الملقب مسكويه هاجيًا أحدهم:

أيا ذا الفضل واللام حاءُ ... ويا ذا المكارم والميم هاءُ

ويا أنجب الناس والباء سينٌ ... ويا ذا الصيانة والصاد خاءُ

ويا أكتب الناس والتاء ذالٌ ... ويا أعلم الناس والعين ظاءُ

تجود على الكل والدال راء ... فأنت السخي ويظوه فاء

انظر إلى المفارقة اللفظية هنا تجدها ماثلة في براعه الشاعر في وضع حرف مكان آخر فتتغير تبعا له الكلمة ويتغير معناها الطيب إلى معنى سيىء يحقق مقصوده وما يهدف إليه من ذم وهجاء.

ويقول الإمام الشافعي:

يخاطبني السفيه بكل قبح ... فأكره أن أكون له مجيبا

يزيد سفاهةً فأزيد حلمًا ... كعود زاده الإحراق طيبا

وتبدو المفارقة في مقابلة الشاعر بين زيادة الحلم وزيادة السفاهة، ومخاطبة السفيه وكراهة مخاطبته، لتبرز دلالة المفارقة، وتؤدي غرضها في التنفير من سلوك السفهاء.

أما النوع الثاني من المفارقة، فيعتمد على حس الشاعر الذي يرى به الأشياء والأحداث من حوله، وتصويرها بمنظور المفارقة، ويترك للمراقب (الإنسان)

على استنكار الاختلاف والتفاوت بين أوضاع كان من شأنها أن تتفق وتتماثل أو بتعبير مقابل تقوم على افتراض ضرورة الاتفاق فيما واقعه الاختلاف ، والشاعر المعاصر يستغل هذه العملية في تصوير بعض المواقف والقضايا التي يبرز فيها هذا التناقض ، والتي تقوم المفارقة التصويرية بدور فعال في إبراز أبعادها).

وتبرز المفارقة في الأدب (شعره ونثره) في أشكال عدة :

فهي في الشعر تبدو في التضاد بين المفردات ، وأسلوب المقابلة في السياقات المختلفة ، وفي المفارقة المعنوية بين ظاهر الأشياء وباطنها وتلجأ - أحيانا - إلى السخرية في كشف باطن النص الخفي .

وفي المسرحية تأتي المفارقة في شكل كوميدي أو مأساوي ، تتأجج فيه العواطف والأفكار وتتقاطع. (فقد تُضحك المفارقة بمأساتها، وقد تُبكي بسخريتها).

لقد اعتمد الشعر العربي قديمه وحديثه في بناء نسيجه على عنصر المفارقة وأن أغلب القصائد الشهيرة في الشعر العربي تعتمد في شعريتها وبنائها اللساني على المفارقة وعمودها الفقري التضاد. سواء أكانت مفارقتها لفظية أم سياقية.

إن المفارقة جوهر في الأدب، لأنها تقوم على الصراع بين الأشياء : الحياة والموت، المتصور والمألوف، الفاني والأزلي، ولأنها تعكس الرؤية المزدوجة في الحياة فهي نظرة فلسفية للوجود من حولنا ، قبل أن تكون أسلوبا بلاغيا .

والمفارقة نوعان :

- ✓ مفارقة لفظية .
- ✓ مفارقة الموقف أو السياق.

فالمفارقة اللفظية هي التي يكون بها المعنى الظاهري واضحًا، ولا يتسم بالغموض وله قوة دلالية مؤثرة.

وكثيرًا ما يكون المعنى فيها هجوميًا، وخاصة في شعر الهجاء. وهذه المفارقة يتعمدها الشاعر، ويخطط لها، عبر السياق المظهر والمخبر

يقول أحمد بن محمد يعقوب المنقب مسكويه هاجيًا ابن عمه :

أيا ذا الفضل واللام حاءُ	ويا ذا المكارم والميم هاءُ
ويا أنجب الناس والباء سينٌ	ويا ذا الصيانة والصاد خاءُ
ويا أكتب الناس والتاء ذالٌ	ويا أعلم الناس والعين ظاءُ
تجود على الكل والدال راء	فأنت السخي ويتلوه فاء

انظر إلى المفارقة اللفظية هنا تجدها ماثلة في براعه الشاعر في وضع حرف مكان آخر فتتغير تبعا له الكلمة ويتغير معناها الطيب إلى معنى سيء يحقق مقصوده وما يهدف إليه من ذم وهجاء .

ويقول الإمام الشافعي :

يخاطبني السفيه بكل قبح	فأكره أن أكون له مجيبا
يزيد سفاهةً فأزيد حلمًا	كعودٍ زاده الإحراق طيبا

وتبدو المفارقة في مقابلة الشاعر بين زيادة الحلم وزيادة السفاهة ، ومخاطبة السفيه وكراهة مخاطبته ، لتبرز دلالة المفارقة ، وتؤدي غرضها في التنفير من سلوك السفهاء.

أما النوع الثاني من المفارقة، فيعتمد على حس الشاعر الذي يرى به الأشياء والأحداث من حوله، وتصويرها بمنظور المفارقة، ويترك للمراقب (الإنسان)